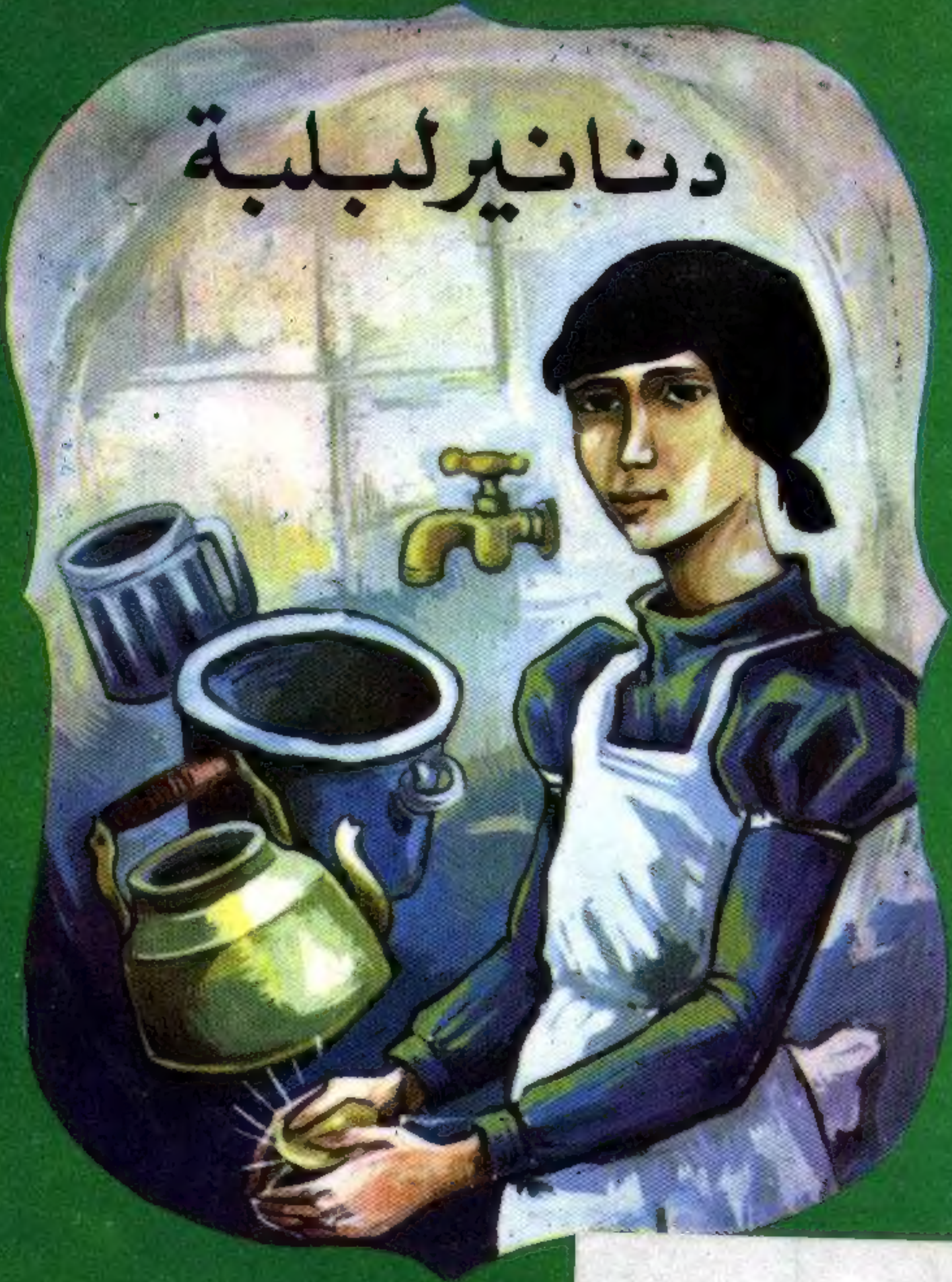


المكتبة الخضراء للأطفال

دنانير لبلبة



بقلم : يعقوب الشاروني

دار المعارف

قصص عربية

Arabic Stories

المكتبة الخضراء للأطفال

٣٠

مكتبة مبارك العامة
Mubarak public Library



دنانير لبلبة



يُحْكِي أَنَّهُ كَانَتْ تُوجَدُ ثَلَاثُ فَتَيَاتٍ ، يَعْمَلْنَ فِي خِدْمَةِ ثَرِيٍّ ، يَقُطْنُ
فِي مَنَزَلٍ كَبِيرٍ ، بِهِ كُلُّ مَظَاهِرِ التَّرَفِ . وَلَمْ يَكُنْ لَدَى زَوْجَتِهِ إِلَّا هَوْلَاءُ
الْخَادِمَاتِ الثَّلَاثِ ، لِذَلِكَ كَانَ عَلَيْهِنَّ أَنْ يَقُمْنَ بِالكَثِيرِ مِنَ الْأَعْمَالِ .
وَكَانَ اسْمُ الْفَتَاةِ الْكُبْرَى « نَاعِيسَةَ » . وَهِيَ فَتَاةٌ طَوِيلَةٌ ، ذَاتُ شَعْرٍ
أَسْوَدَ ، وَوَجْنَتَا وَرْدِيَّةٍ . وَكَانَ فِي اهْتِطَاعِهَا الْقِيَامُ بِالكَثِيرِ مِنَ الْأَعْمَالِ فِي
وَقْتٍ قَصِيرٍ لَوْ أَرَادَتْ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَرْغِبُ فِي الْعَمَلِ عَادَةً ، لِأَنَّهَا
كَسْلَانَةٌ .

وَكَانَ هَمُّهَا أَنْ تَقْضِيَ أَكْثَرَ مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى
مَقْعَدٍ فِي الْمَطْبَخِ ، مُرْتَدِيَةً مَلَابِيسَ غَيْرِ مُنَظَّمَةٍ
وَلَا نَظِيفَةٍ ، شَعَاءَ الشَّعْرِ ، حَافِيَةً الْقَدَمَيْنِ . وَكَانَتْ
تَقْضِي السَّاعَاتِ تَقْرَأُ الْقِصَصَ ، وَتَحْكِي لِلْفَتَاتَيْنِ
الْأُخْرَيَيْنِ مَا يُمَكِّنُ أَنْ تَفْعَلَهُ لَوْ أَنَّهَا أَصْبَحَتْ غَنِيَّةً .
وَكَانَ اسْمُ الثَّانِيَةِ « جَمِيلَةٌ » ، وَهِيَ ذَاتُ وَجْهِ



جَمِيلٌ جِدًّا ، زُرْقَاءُ الْعَيْنَيْنِ ، ذَهَبِيَّةُ الشَّعْرِ ، وَلَكِنَّهَا
كَانَتْ هِيَ الْأُخْرَى كَسُولًا تَكْرَهُ الْعَمَلَ .
وَلَمْ تَكُنْ تُهْمِلُ نَفْسَهَا مِثْلَ « نَاعِسَةٍ » ، بَلْ عَلَى
الْعَكْسِ ، كَانَتْ مُعْرِمَةً جِدًّا بَأَنَّ تَرْتَدِي مَلَابِسَ جَمِيلَةً ،
وَبِأَنَّ تَقِفَ السَّاعَاتِ الطَّوِيلَةَ تَنْتَظِعُ إِلَى نَفْسِهَا فِي الْمِرَاقِ .
وَكَانَتْ تُنْفِقُ كُلَّ نَقُودِهَا فِي شِرَاءِ أَشْيَاءَ جَمِيلَةٍ تَرْتَدِيهَا ،



مِثْلَ الزُّهُورِ الصَّنَاعِيَّةِ ، وَشَرَائِطِ الشَّعْرِ وَالْأَحْزَمَةِ ، وَالْأَوْشِحَةِ وَالْعُقُودِ .

وَأَحْيَانًا ، عِنْدَمَا يَخْلُو الْبَيْتُ مِنْ أَصْحَابِهِ ، تَتَسَلَّلُ إِلَى غُرْفَةِ سَيِّدَتِهَا ، فَتَرْتَدِي أَثْوَابَهَا الْفَاخِرَةَ الْوَاحِدَ بَعْدَ الْآخَرِ ، وَتَتَزَيَّنُ بِحُلِيِّهَا الثَّمِينَةِ ، ثُمَّ تَمْشِي أَمَامَ الْمَرَاةِ الْكَبِيرَةِ مُعْجَبَةً بِنَفْسِهَا ، حَتَّى لَتَقْضِي فِي كُلِّ مَرَّةٍ أَكْثَرَ مِنْ سَاعَةٍ ، وَهِيَ تَتَأَمَّلُ صُورَتَهَا .

وَاعْتَادَتْ « جَمِيلَةَ » أَنْ تَقُولَ لِنَفْسِهَا : « إِنِّي أَجْمَلُ مِنْ أَنْ أَتَحَمَّلَ مَشَاقَّ الْعَمَلِ . . . كَانَ يَجِبُ أَنْ أَكُونَ سَيِّدَةً غَنِيَّةً ، لَا أَهْتَمُّ بِأَنْ أَعْمَلَ شَيْئًا . . . بَلْ أَكْتَفِي بِالْجُلُوسِ ، وَإِضْدَارِ الْأَوَامِرِ لِلْخَدَمِ وَالْأَتْبَاعِ » .

لِذَلِكَ فَمِنْ الْمُؤَكَّدِ أَنَّ « نَاعِسَةَ » وَ « جَمِيلَةَ » لَمْ تَكُونَا تَقُومَانِ إِلَّا بِقَدْرِ قَلِيلٍ مِنْ أَعْمَالِ الْمَنْزِلِ الْكَثِيرَةِ ، وَحَتَّى مَا تَعْمَلَانِهِ تُوَدِّيَانِهِ عَلَى أَسْوَأِ صُورَةٍ .

وَكَانَ مِنَ الْغَرِيبِ حَقًّا أَلَّا تَطْرُدَهُمَا سَيِّدَتُهُمَا ، وَلَوْ كَانَتْ تَعْلَمُ حَقِيقَتَهُمَا ، مَا تَأَخَّرَتْ فِي طَرْدِهِمَا . وَلَكِنَّهَا ، مَعَ تَأْنِيهِهَا الْمُسْتَمِرِّ لَهَا ، لَمْ تَكُنْ تُدْرِكُ قَطُّ أَنَّ فَسَادَهُمَا وَصَلَ إِلَى دَرَجَةِ تَرْكِ مُعْظَمِ عَمَلِهَا لِيَقُومَ بِهِ شَخْصٌ آخَرُ . ذَلِكَ أَنَّ خَادِمَتَهَا الثَّلَاثَةَ وَالصُّغْرَى ، هِيَ الَّتِي كَانَتْ تَشْتَغِلُ طَوَالَ الْوَقْتِ ، وَبِفَضْلِهَا كَانَ الْمَنْزَلُ نَظِيفًا مُرْتَبًا عَلَى الدَّوَامِ .

وَكَانَ اسْمُ هَذِهِ الْخَادِمَةِ الثَّلَاثَةِ « لَيْلَةَ » ، وَإِنْ سَمَّاهَا الْجَمِيعُ « لَيْلَةَ

الصَّغِيرَةُ «لِمَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ ضَالَّةٍ
حَبْجَمٍ ، وَنَحَافَةٍ وَشُحُوبٍ ،
حَتَّى لَقَدْ بَدَتْ كَأَنَّهَا أَصْغَرُ مِنْ
حَقِيقَتِهَا ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَتْ
تَقُومُ بِأَغْلَبِ أَعْمَالِ الْمَنْزِلِ ، إِذْ
اعْتَادَتْ أَنْ تُودِيَ عَمَلَ
زَمِيلَتَيْهَا ، بِالإِضَافَةِ إِلَى نَصِيبِهَا
مِنَ الْعَمَلِ .



كَانَتْ تَشْتَغِلُ طَوَالَ النَّهَارِ ، مِنْ الْفَجْرِ حَتَّى مُتَصَفِّرِ اللَّيْلِ ، دُونَ أَنْ
تَجِدَ دَقِيقَةً وَاحِدَةً تَهْتَمُ فِيهَا بِنَفْسِهَا ، كَانَتْ تُنْظِفُ أَوْعِيَةَ الْمَطْبَخِ ، وَتَكْنُسُ
الْأَرْضَ وَتَمْسَحُ الْحُجَرَاتِ وَتَغْسِلُ الْأَوَانِي وَالْأَطْبَاقَ ، وَتَطْهَرُ الطَّعَامَ وَتَعْدُ
الْمَائِدَةَ ، وَتُرْتِّبُ الْأَثَاثَ ، وَتَحْرِصُ أَنْ يَبْدُو الْمَنْزَلُ أَيْقَانًا نَظِيفًا ، وَتَسْهَرُ
عَلَى تَلْبِيَةِ رَغَبَاتِ سَيِّدِهَا وَسَيِّدَتِهَا .

لَمْ يَكُنْ لَهَا أَخٌ أَوْ أُخْتُ ، وَقَدْ فَقَدَتْ أَبَاهَا وَأُمَّهَا . وَلَمْ يَكُنْ لَهَا صَدِيقٌ
فِي الدُّنْيَا سِوَى جَدَّتِهَا .

وَجَدَّتُهَا سَيِّدَةٌ عَجُوزٌ فَقِيرَةٌ جِدًّا ، كَانَتْ تَعِيشُ فِي كُوخٍ صَغِيرٍ قَدِيمٍ ،
لَا يَبْعُدُ كَثِيرًا عَنِ الْمَدِينَةِ الَّتِي تَعْمَلُ بِهَا « لَيْلَبَةُ » .

لَمْ يَكُنِ الْكُوخُ مَكَانًا صَالِحًا لِلسَّكَنِ ، لَكِنْ جَدَّةُ لَيْلَبَةَ كَانَتْ مِنَ الْفَقْرِ
بِحَيْثُ لَمْ تَجِدْ مَكَانًا أَفْضَلَ مِنْهُ لِتَعِيشَ فِيهِ . كَانَتْ أَرْضِيَّتُهُ مِنَ التُّرَابِ ،
وَالشُّقُوقُ تَمَلَأُ سَقْفَهُ وَجُدْرَانَهُ ، وَالْفِرَاشُ الَّذِي تَنَامُ عَلَيْهِ الْمَرْأَةُ الْعَجُوزُ
مُجَرَّدُ كَوْمَةٍ مِنَ الْقَشِّ وَغِطَاءٌ مُمَرَّقٌ .

وَكَانَتْ لَيْلَبَةُ الصَّغِيرَةُ تُعْطِي جَدَّتَهَا كُلَّ مَا تَحْصُلُ عَلَيْهِ مِنْ نُقُودٍ ، أُسْبُوعًا
بَعْدَ أُسْبُوعٍ . وَلَكِنْ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ كَافِيًا حَتَّى لِشِرَاءِ الْخُبْزِ دُونَ غَيْرِهِ ، وَكَثِيرًا
مَا كَانَتْ لَيْلَبَةُ تُحَدِّثُ نَفْسَهَا قَائِلَةً : « كَمْ تَكُونُ الْحَيَاةُ حُلُوءَةً ، إِذَا اسْتَطَعْتُ
أَنْ أَعِيشَ مَعَ جَدَّتِي فِي مَنْزِلٍ صَغِيرٍ جَمِيلٍ نَظِيفٍ ، تُحِيطُ بِهِ حَدِيقَةٌ أَقْطَفُ

مِنْهَا الْوُرُودَ وَالْأَزْهَارَ كُلَّ صَبَاحٍ ، وَأَنْ يَكُونَ لَدَيْنَا قَلِيلٌ مِنَ النُّقُودِ لِشِرَاءِ
مَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَلَابِسٍ ، وَأَنْ نَجِدَ دَائِمًا طَعَامًا كَافِيًا . لَوْ تَحَقَّقَ هَذَا ،
فَكَمْ سَنَكُونُ رَاضِينَ سَعْدَاءَ ! ! » .

كَانَتْ هَذِهِ هِيَ أَمَانِي لَيْلِيَةِ الصَّغِيرَةِ فِي الْحَيَاةِ ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَجِدْ وَسِيلَةً
يُمْكِنُ أَنْ تَحَقِّقَ بِهَا أَحْلَامَهَا وَأَمَانِيَّهَا . وَمَعَ ذَلِكَ ظَلَّتْ تَعْمَلُ يَوْمًا بَعْدَ
يَوْمٍ ، وَظَلَّتْ نَاعِسَةً وَجَمِيلَةً تُوَاصِلَانِ تَرْكَهَا لِتَقُومَ بِنَصِيبِهَا مِنَ الْعَمَلِ ،
وَنَادِرًا مَا تَمُدَّانِ إِلَيْهَا يَدَ الْمُسَاعَدَةِ . وَكَلَّمَا عَاهَدَتْ إِلَيْهَا سَيِّدَتُهَا بِعَمَلٍ شَاقٍّ
أَوْ مُهِمَّةٍ دَقِيقَةٍ فَإِنَّهَا تَقُولَانِ : « سَتَقُومُ لَيْلِيَةُ بِهَذَا ، لِمَاذَا نَرْهَقُ أَنْفُسَنَا بِالْعَمَلِ
مَا دَامَتْ لَيْلِيَةُ الصَّغِيرَةُ يُمْكِنُ أَنْ تَقُومَ بِكُلِّ الْعَمَلِ ؟ » .



وفي يومٍ ، أقامَ سيّدُ لَيْلِيَّةَ وزَوْجَتُهُ وَلِيْمَةً عَظِيْمَةً في بَيْتِهَا الْفَاخِرِ ،
حَضَرَهَا أَصْدِقَاؤُهُمَا لِتَنَاوُلِ الطَّعَامِ .

وَقَبْلَ مِيعَادِ الْوَلِيْمَةِ بِعِدَّةِ أَيَّامٍ ، انْهَمَكَتْ لَيْلِيَّةُ الصَّغِيرَةُ وَالْكِسْلَانَتَانِ :
نَاعِسَةً وَجَمِيلَةً في الْعَمَلِ ، إِذْ كَانَتْ لَدَيْهِنَّ وَاجِبَاتٌ كَثِيرَةٌ يَجِبُ الْقِيَامُ بِهَا .
كَانَ عَلَيْهِنَّ تَنْظِيفُ الْخَضِرَوَاتِ وَطَهْيُهَا ، وَإِعْدَادُ الطُّيُورِ الْمَشْوِيَّةِ وَاللُّحُومِ
الْمَطْبُوخَةِ ، وَصُنْعُ الْكَعْكَ وَالشُّطَائِرِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْحَلَوَى وَالْأَطْعِمَةِ .
وَوُضِعَ عَلَى عَاتِقِ لَيْلِيَّةِ الصَّغِيرَةِ أَشَقُّ جَانِبٍ مِنَ الْعَمَلِ ، إِذْ سُرْعَانَ
مَا تَخَلَّتْ نَاعِسَةً وَجَمِيلَةً عَنِ الْقِيَامِ بِوَاجِبَاتِهَا ، بِحُجَّةٍ أَنَّ التَّعَبَ قَدْ انْتَابَهَا .
وفي يَوْمِ الْمَادِيَةِ نَفْسِهِ ، قَامَتْ لَيْلِيَّةُ بِأَكْبَرِ نَصِيبٍ مِنَ الْعَمَلِ : فَقَدْ
بَسَطَتِ الْمَوَائِدَ ، وَأَتَمَّتِ الطَّهْيَ ، ثُمَّ وَقَفَتْ تُلَبِّي كُلَّ طَلَبٍ يُبْدِيهِ أَيُّ وَاحِدٍ
مِنَ الضُّيُوفِ . . . وَكَانَ الْمَدْعُوعُونَ يَتَصَايَحُونَ مِنْ شِدَّةِ الطَّرِبِ وَالْمَرَحِ .
وَبَعْدَ انْتِهَاءِ الْوَلِيْمَةِ ، قَامَتْ لَيْلِيَّةُ بِالْعَمَلِ كُلِّهِ : فَجَمَعَتِ الْأَوَانِيَ وَأَدَوَاتِ
الْمَائِدَةِ ، وَرَفَعَتِ الْمَوَائِدَ ، وَغَسَلَتِ الْأَطْبَاقَ .

وفي كُلِّ هَذَا ، لَمْ تَمُدَّ نَاعِسَةً وَجَمِيلَةً يَدَ الْمُسَاعَدَةِ إِلَى لَيْلِيَّةَ ، بَلْ
جَلَسَتْ نَاعِسَةً عَلَى مَقْعَدٍ فِي الْمَطْبَخِ ، وَأَخَذَتْ تَلْتَهُمْ جَمِيعَ الْكَعْكَ
وَالْحَلَوَى الَّتِي تَبَقَّتْ مِنَ الْوَلِيْمَةِ .

وبالْمِثْلِ ، لَمْ تُلْقِ جَمِيلَةُ بِالْأَى الْأَكْوَامِ الْمُكَدَّسَةِ مِنَ الْأَطْبَاقِ





الَّتِي يَتَحَتَّمُ غَسْلُهَا ، بَلْ تَسَلَّلَتْ لِتَتَمَتَّعَ بِمُشَاهَدَةِ السَّيِّدَاتِ الْحِسَانِ فِي ثِيَابِهِنَّ
الْحَرِيرِيَّةِ الْفَاخِرَةِ ، وَمُجَوَّهَرَاتِهِنَّ النَّفِيسَةِ الْغَالِيَةِ . وَهَكَذَا قَضَتْ كُلَّ وَقْتِهَا
خَلْفَ بَابِ الْبَهْوِ تَخْتَلِسُ النَّظَرَ مِنْ ثُقُبِ الْمِفْتَاحِ ، لِتَتِمَكَّنَ مِنْ مُشَاهَدَةِ
الْمَنَاطِرِ الْجَمِيلَةِ .



وأخيراً انتاب الإرهاق الشديد ليللة الصغيرة ، حتى لم تعد قادرة على الوقوف . وعندما انتهت من تنظيف آخر طبق ، كان قد انقضى من الليل شطر كبير ، فرحفت فوق درجات السلم لتصل إلى غرفتها التي تقع فوق السطح . وهناك ألقت بنفسها على سريرها ، وسرعان ما استغرقت في نوم عميق .

وفي اليوم التالي ، استيقظت من نومها مبكرة ، إذ كانت تذكّر تماماً أن المنزل يجب تنظيفه جيداً . وإعادة النظام إليه عقب الوليمة ، لكنها وجدت نفسها متعبة جداً .

وارتدت ملابسها ببطء ، وهي تدعك عينيها ، وعندما تناولت حذاءها لتلبسه . توقفت فجأة . . . لقد أحسّت بشيء صلب وبارد في حذائها الأيمن . وعندما تحسسته . سألت نفسها متعجبة : « ما هذا . . . ؟ ! » وكم كانت دهشتها عندما نظرت إلى الشيء الذي وجدته . . . فإذا به دينار ذهبي لامع كبير !

وحملت ليللة الصغيرة في ذلك الكثر الصغير ، ودعكت عينيها ثانية لتتأكد أنها ليست في حلم ، وقالت لنفسها : « أنا واثقة أن هذا الدينار الذهبي لم يكن في حذائي ليلة أمس ، فمن أين جاء ؟ ومن الذي وضعه هنا ؟ »

وَلَمْ تَسْتَطِيعْ أَنْ تَجِدَ تَفْسِيرًا مَعْقُولًا لِمَا حَدَّثَ . وَبَعْدَ تَرُدُّدٍ ، وَضَعْتَ
الْقِطْعَةَ الذَّهَبِيَّةَ فِي جَيْبِ رِدَائِهَا ، وَهَبَطْتَ السُّلَّمِ لِتَبْدَأَ أَعْمَالَهَا ، لَكِنُّهَا لَمْ
تَجِدِ الْفَتَاتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ .

وَبَعْدَ لَحْظَةٍ ، دَخَلَتْ نَاعِسَةً الْمَطْبَخَ وَهِيَ تَصْبِيحُ : « يَا لَهَا مِنْ لَيْلَةٍ
فَظِيعَةٍ . إِنِّي لَمْ أَذُقْ طَعْمَ النَّوْمِ خِلَالَهَا . . لَسْتُ أَذْرِى مَا الَّذِي انْتَابَنِي ؟
لَقَدْ أَحْسَسْتُ أَنَّ شَخْصًا مَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرَاهُ ، قَضَى طُولَ اللَّيْلِ يَضْرِبُنِي
وَيَلْكُمُنِي . لَقَدْ غَادَرْتُ فِرَاشِي عِدَّةَ مَرَّاتٍ ، وَفَتَّشْتُ غُرْفَتِي جِدًّا ،
وَتَأَكَّدْتُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ أَنِّي وَحْدِي تَمَامًا . وَمَعَ ذَلِكَ . . مَا إِنْ أَعُودَ لَأَسْتَلْقَى
عَلَى الْفِرَاشِ ، حَتَّى يَبْدَأَ الْوَخْزُ وَالضَّرْبُ ثَانِيَةً . إِنْ جِسْمِي كُلُّهُ يُؤَلِمُنِي مِنْ
شِدَّةِ الضَّرْبِ وَالْوَخْزِ . . انْظُرِي يَا لَيْلَةَ ، لَقَدْ امْتَلَأَ جِسْمِي بِالْبُقَعِ السَّودَاءِ
وَالزَّرْقَاءِ مِنْ أَثَرِ مَا حَلَّ بِي فِي أَثْنَاءِ اللَّيْلِ ! ! » .



وَدَخَلَتْ جَمِيلَةً عِنْدَمَا كَانَتْ لَيْلِيَّةٌ تَتَطَلَّعُ إِلَى عَلَامَةٍ مُتَوَرِّمَةٍ كَبِيرَةٍ زُرْقَاءَ فِي
 ذِرَاعِ نَاعِيسَةٍ ، وَإِذَا بِالْخُدُوشِ وَالْجُرُوحِ تُغَطِّي وَجْهَتِي جَمِيلَةَ الْجَمِيلَتَيْنِ ،
 فِي حِينٍ ظَهَرَ وَاضِحاً أَنَّ بَعْضَ خُصَلَاتِ شَعْرِهَا الذَّهَبِيِّ قَدْ انْتَزَعَتْ مِنْ
 رَأْسِهَا . وَصَاحَتْ لَيْلِيَّةٌ وَنَاعِيسَةٌ فِي صَوْتٍ وَاحِدٍ عِنْدَمَا شَاهَدَتَاهَا : « مَاذَا
 حَدَثَ . . مَا الَّذِي حَلَّ بِكَ ؟ ! » .





وَقَالَتْ جَمِيلَةٌ وَهِيَ تَبْكِي : « لَسْتُ أَذْرِي كَيْفَ أَخْبِرُكُمْ بِمَا حَدَثَ . .
 فَطَوَالَ اللَّيْلَةُ السَّابِقَةُ ، لَمْ أَذُقْ طَعْمًا لِلنَّوْمِ . لَقَدْ كَانَ هُنَاكَ شَخْصٌ
 مَا يُوَاصِلُ وَخَزِيَّ بِالْذَّبَابِيسِ ، وَيَجْذِبُنِي مِنْ شَعْرِي بِقُوَّةٍ وَعُنْفٍ . . يَا لَشِدَّةِ
 الْخَوْفِ الَّذِي انْتَابَنِي ! . لَمْ أَنْلِ أَيْ قِسْطٍ مِنَ الرَّاحَةِ ، فَقَدْ أَخَذْتُ أَغَادِرُ
 الْفِرَاشَ وَأَعُودُ إِلَيْهِ طُولَ اللَّيْلِ ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا أُسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَ مِنَ الَّذِي أَنْزَلَ
 بِي هَذَا الْعَذَابَ الْمُتَّصِلَ ، فَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ غَيْرِي فِي غُرْفَتِي » .

ثُمَّ اسْتَدَارَتِ الْفَتَاتَانِ إِلَى لَيْلِيَةِ الصَّغِيرَةِ ، وَسَأَلَتَاهَا : « هَلْ حَدَثَ لَكَ
 شَيْءٌ مِمَّا وَقَعَ لَنَا ؟ هَلْ كَانَتْ لَيْلَتُكَ حَافِلَةً بِالْأَلَمِ وَالْعَذَابِ مِثْلَنَا ؟ »
 فَقَالَتْ لَيْلِيَةُ الصَّغِيرَةُ : « كَلَّا . . بَلْ عَلَى الْعَكْسِ ! أَعْتَقِدُ أَنَّ شَيْئًا
 يَخْتَلِفُ تَمَامًا قَدْ وَقَعَ لِي . لَقَدْ وَجَدْتُ دِينَارًا ذَهَبِيًّا فِي حِذَائِي الْأَيْمَنِ ،
 وَلَسْتُ أَذْرِي مَنْ وَضَعَهُ هُنَاكَ ! » .

وَبَانَتِ الدَّهْشَةُ عَلَى وَجْهِ نَاعِسَةٍ وَجَمِيلَةٍ ، وَصَاحَتِ نَاعِسَةٌ : « تَقُولِينَ
 مِنْ ذَهَبٍ ؟ ! لَعَلَّكَ كُنْتِ تَحْلُمِينَ ! » وَقَالَتْ جَمِيلَةٌ : « هَذَا شَيْءٌ
 لَا يَحْدُثُ إِلَّا فِي الْقِصَصِ ! »

هُنَا وَضَعَتْ لَيْلِيَةُ يَدَهَا فِي جَيْبِ رِدَائِهَا ، ثُمَّ أَخْرَجَتِ الْعُمْلَةَ الذَّهَبِيَّةَ
 وَبَرِيقُ الْمَعْدِنِ الْأَصْفَرِ الثَّمِينِ يَلْمَعُ بَيْنَ أَصَابِعِهَا . وَأَمْسَكَتِ نَاعِسَةُ الْعُمْلَةَ
 الْغَالِيَةَ ، وَأَخَذَتْ تَتَأَمَّلُهَا بِعَيْنَيْنِ كُلِّهَا دَهْشَةً . وَتَنَاوَلَتْ مِنْهَا جَمِيلَةٌ قِطْعَةً

الذَّهَبِ ، وَرَاحَتْ تُقَلِّبُهَا بَيْنَ يَدَيْهَا ، وَهِيَ تَتَحَسَّسُهَا غَيْرَ مُصَدِّقَةٍ .
 وَأَخِيرًا اسْتَعَادَتْ لِبَلْبَةِ الدِّينَارِ الذَّهَبِيِّ ، وَأَعَادَتْهُ فِي حِرْصٍ إِلَى مَكَانِهِ
 دَاخِلَ جَيْبِهَا .



وَجَلَّانَ دَيْتِ الشَّهَارِ ، نَمَ تَقَمَ
نَاعِيَهُ نَوَ حَمِيهِ بِأَيِّ عَمَلٍ لَقَدْ
فَلَّانَ رَ الْأَمَهُ أَشَدَّ مِنْ أَنْ يَسْمَحَ بِهَا
بِأَحْرَكَوْ ، وَبِهِدِ اسْتَعْنَتْ لَيْلَةُ
بَضِيرَةَ وَحَدَّهَا طَوَانَ الشَّهَارِ ، وَ
النَّيْلَ نَامَتْ فِي هُدُوءٍ وَ حُجْرَتِهَا
الصَّغِيرَةِ فَوْقَ السُّطْحِ وَعِنْدَ
اسْتَقْلَبَتْ صَاحَ لَيْتُومَ لَيْتُ ،
وَجَدَتْ دِيَاراً دَهْشَ احْرَ فِي حِدَائِبِهَا
لَأَيَّسَ وَكَمْ كَانَتْ دَيْتِ عَرَباً
نَا نَاعِيَهُ وَحَمِيهِ ، هَعْدَ بَرَكَةٍ فِي
وَقْتِ مُتَأَحَّرَ ، وَهَمَا مُتَّعِدَ ، بِذَلِكَ
تَمَتَّعَ بِحَدَّهَا بِمَخْطَمِ وَحَدَّ مِنْ التَّوَمِ
الْهَادِي هَعْدَ تَوَسَّى عَيْنِهَا بَصُرَتْ
وَانْخَرُ حُلُوبَ يَدَتْ لَيْلَةُ أَيَّصَ ، وَمِ
تَطْعَمَ الْفَتَابُ الْإِلَافُ أَنْ تَقْرَأَ سِرَّ
هَذَا نَدَى بِحَدَّثِ كُلِّ يَتِيمٍ



وفي الليلة الثالثة . أصبح الأمر أكثر سوءاً وأشدَّ إيلاًماً بالنسبة للفتاتين
الكسلانَتين . وفي الصباح . كانت البقعُ الزرقاءُ والسوداءُ تملأُ جِسميهما .
والآلمُ الشَّديدُ يَنتابُ كُلَّ عَضْوٍ فِيهِمَا .
أما لَيْلَةُ الصَّغِيرَةِ ، فَقَدْ اسْتَيْقَظَتْ صَبَاحاً مِنْ نَوْمِهَا ، بَعْدَ أَنْ أَمْضَتْ
لَيْلَةً سَعِيدَةً هَادِئَةً فِي حُجْرَتِهَا الصَّغِيرَةِ فَوْقَ السَّطْحِ . وفي الصَّبَاحِ ، وَجَدَتْ
دَاخِلَ جُورِهَا دِينَاراً ذَهَبِيّاً ثَالِثاً .



أخيراً صَمَّمَتِ الْفَتَاتُ الثَّلَاثُ عَلَى إِخْبَارِ سَيِّدَتِهِنَّ بِمَا حَدَثَ ،
وَأَصْغَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى الْقِصَّةِ كَامِلَةً . وَأَمْنَعَتِ النَّظَرَ إِلَى الدَّنَائِيرِ الذَّهَبِيَّةِ . ثُمَّ
قَالَتْ : « إِنَّ هَذَا طَبْعاً مِنْ فِعْلِ الْحُورِيَّاتِ . لَقَدْ اعْتَدْتُ أَنْ أَسْمَعَ مِنْ أُمِّي
أَنَّ الْحُورِيَّاتِ تُوَخِّزُ كُلَّ فَتَاةٍ كَسْلَانَةٍ لَا تَقُومُ بِأَدَاءِ وَاجِبَاتِهَا بِأَمَانَةٍ .
وَهُنَا نَظَرْتُ بِتَجْهِمٍ إِلَى نَاعِسَةٍ وَجَمِيلَةٍ . وَتَابَعْتُ حَدِيثَهَا قَائِلَةً : « وَأَنَا
وَاثِقَةٌ أَنَّ الْحُورِيَّاتِ قَدْ كَافَأَتْ لَيْلَةَ الصَّغِيرَةِ بِهَذِهِ الدَّنَائِيرِ الذَّهَبِيَّةِ ، لِأَنَّهَا
تَشْتَغِلُ دَائِماً بِجَدٍّ وَنَشَاطٍ » .



ثُمَّ مَنَحَتْ لَيْلِيَّةَ عُطْلَةَ الْيَوْمِ بِأَكْمَلِهِ ، حَتَّى تَتِمَّكَنَ مِنْ زِيَارَةِ جَدَّتَيْهَا ، فِي
الْوَقْتِ الَّذِي أَخَذَتْ تُؤَنَّبُ فِيهِ الْبَيْتَيْنِ الْكَسْلَانَتَيْنِ . وَقَالَتْ لَهُمَا : « إِنِّي
أَفَكَّرُ فِعْلًا فِي طَرْدِكُمَا مِنْ خِدْمَتِي . مَا دُمْتُ لَا تُخْلِصَانِ فِي عَمَلِكُمَا » .
وَمَا إِنْ سَمِعَتِ الْفَتَاتَانِ هَذَا التَّهْدِيدَ ، حَتَّى مَلَأَهُمَا الْخَوْفُ وَالْأَسْفُ .
وَتَعَهَّدَتَا أَنْ تُحْسِنَا السُّلُوكَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، وَأَنْ تُؤَدِّيَا عَمَلَهُمَا بِأَمَانَةٍ وَإِخْلَاصٍ .
أَمَّا لَيْلِيَّةُ ، فَقَدْ غَمَرَتْهَا الْفَرَحَةُ عِنْدَمَا ذَهَبَتْ إِلَى جَدَّتَيْهَا الْفَقِيرَةِ ، وَقَصَّتْ
عَلَيْهَا أَخْبَارَ حَظِّهَا الْحَسَنِ . وَكَانَ الْحَدِيثُ طَوِيلًا وَمُسْلِيًا بَيْنَ الْفَتَاةِ

وَجَدَّتْهَا ، ثُمَّ قَالَتْ لَيْلَةُ فِي فَرَحٍ : « إِنِّي أَعْلَمُ يَا جَدَّتِي مَا يَجِبُ أَنْ أَفْعَلَهُ
بِدَنَانِيرِي الذَّهَبِيَّةِ . لَقَدْ أَخْبَرْتَنِي سَيِّدَتِي أَنَّهَا أَكْبَرُ أَنْوَاعِ الْعُمَلَاتِ قِيَمَةً ،
وَلِهَذَا فَسَادَ خِرْهَا حَتَّى أَتِمَّكَ مِنْ شِرَاءِ مَنَزَلٍ صَغِيرٍ جَمِيلٍ تَعِيشِينَ فِيهِ ، بَدَلًا
مِنْ هَذَا الْكُوخِ الصَّغِيرِ . إِنَّ هَذَا أَقْصَى مَا أَطْمَعُ فِيهِ » .

وَحَلَّ الظَّلَامُ قَبْلَ أَنْ تُغَادِرَ لَيْلَةُ كُوخَ جَدَّتِهَا ، وَأَمْسَى الْجَوُّ شَدِيدَ
الْبُرُودَةِ ، بَلْ أَخَذَتِ السَّمَاءُ تُمَطِّرُ فِي أَثْنَاءِ عَوْدَةِ لَيْلَةِ .

وَفِي أَحَدِ الْأَزِقَّةِ الصَّغِيرَةِ شَاهَدَتْ لَيْلَةُ فِي أَثْنَاءِ سَيْرِهَا صَبِيَّةً تَبْكِي بُكَاءً
شَدِيدًا وَهِيَ تَحْتَمِي بِبَابِ أَحَدِ الْمَنَازِلِ . وَكَانَتْ حَافِيَةً الْقَدَمَيْنِ تَقِفُ فِي
الطُّينِ وَمَاءِ الْأَمْطَارِ الْبَارِدِ ، وَتَرْتَدِي ثِيَابًا قَدِيمَةً بَالِيَةً . وَفِي الْحَالِ تَوَقَّفَتْ
لَيْلَةُ وَسَأَلَتْهَا : « لِمَاذَا تَبْكِينَ أَيَّتُهَا الْفَتَاةُ ؟ »

وَتَنَهَّدَتْ الصَّبِيَّةُ وَهِيَ تَقُولُ : « إِنِّي حَائِرَةٌ لَا أَعْرِفُ مَكَانًا أَنَامُ فِيهِ هَذِهِ
الَّيْلَةَ . إِنِّي لَا أَمْلِكُ نَقُودًا ، كَمَا أَنَّي لَمْ أَتَذُوقْ طَعَامًا طَوَالَ هَذَا النَّهَارِ ،
وَلَسَوْفَ أَمُوتُ مِنَ الْجُوعِ وَالْبَرْدِ » . ثُمَّ سَقَطَتْ مُتَكَوِّمَةً تَحْتَ أَقْدَامِ لَيْلَةِ .
وَتَنَهَّدَتْ لَيْلَةُ لِحُظَّةٍ ، ثُمَّ قَالَتْ لِنَفْسِهَا : « لَقَدْ عَلَّمَتْنِي جَدَّتِي أَنَّهُ يَجِبُ
مَدَّ يَدِ الْمُسَاعَدَةِ لِلآخَرِينَ ، كُلَّمَا وَجَدْنَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا » .



عِنْدِيذٍ أَخْرَجَتْ أَحَدَ دَنَائِيرِهَا الذَّهَبِيَّةِ ، وَوَضَعَتْهُ فِي يَدِ الصَّبِيَّةِ الصَّغِيرَةِ ،
وَقَالَتْ فِي رِقَّةٍ : « يَا أُخْتِي . . هَذِهِ الْقِطْعَةُ الذَّهَبِيَّةُ تَكْفِي لِعَشَائِكَ ، وَأَيْضاً
لِكِي تَجِدِي لَكَ مَأْوًى تَبْتَينَ فِيهِ اللَّيْلَةَ » . ثُمَّ تَابَعَتْ سَيْرَهَا إِلَى مَنْزِلِ
سَيِّدَتِهَا .



وَدَهَشَتْ نَاعِسَةً وَجَمِيلَةً عِنْدَمَا سَمِعَتَا كَيْفَ ضَحَّتْ لَيْلَةُ الصَّغِيرَةِ بِوَاحِدٍ
مِنْ دَنَائِيرِهَا الذَّهَبِيَّةِ ، وَقَالَتَا لَهَا : « يَالَكَ مِنْ فَتَاةٍ حَمَقَاءَ ! كَيْفَ تُعْطِينَ
وَاحِداً مِنْ دَنَائِيرِكَ الذَّهَبِيَّةِ الثَّمِينَةِ لِشَحَّاذَةٍ صَغِيرَةٍ ؟ لَقَدْ كَانَ يَوْسُفُكَ أَنْ
تَشْتَرِيَ أَغْلًى وَأَثْمَنَ الْأَشْيَاءِ بِهَذَا الدِّينَارِ الذَّهَبِيِّ » . وَلَكِنَّ لَيْلَةَ لَمْ تُلْقِ بَالاً
إِلَى تَأْنِيْبِهَا ، بَلْ كَانَ السُّرُورُ يَغْمُرُهَا لِأَنَّهَا اسْتَطَاعَتْ أَنْ تُسَاعِدَ تِلْكَ الْفَتَاةَ
الْمِسْكِينَةَ الصَّغِيرَةَ .

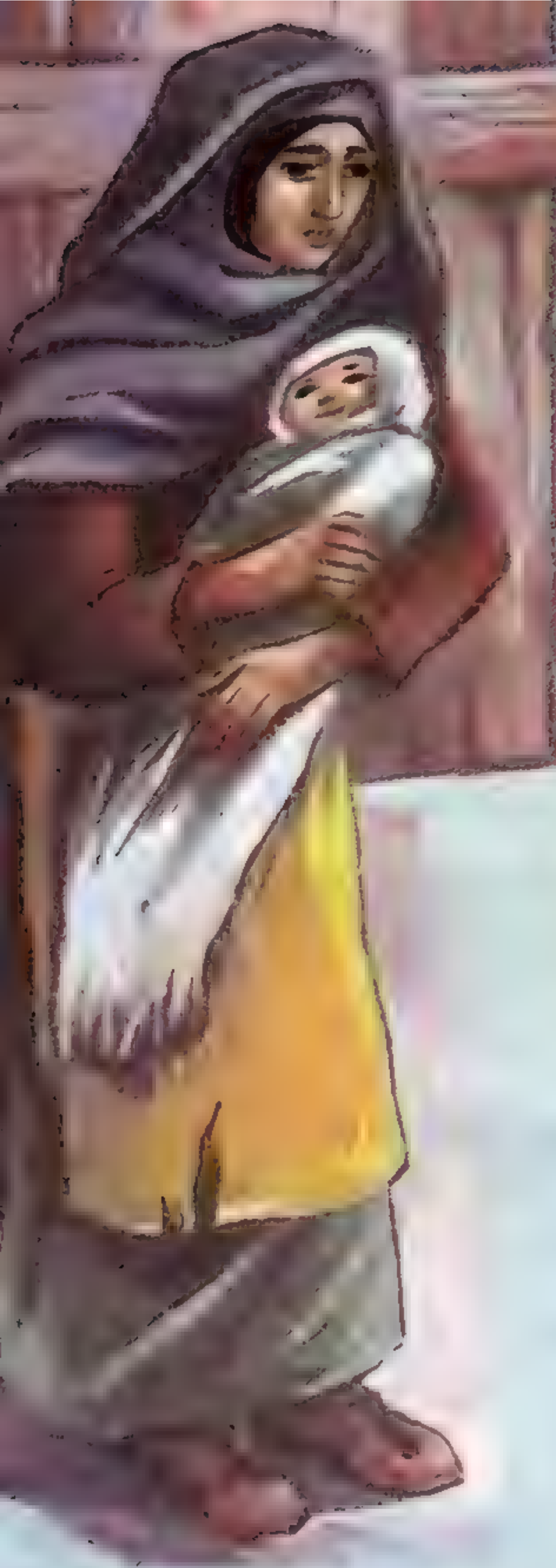
وَفِي أَثْنَاءِ غِيَابِ لَيْلَةَ عِنْدَ جَدَّتِهَا . حَاوَلَتْ نَاعِسَةُ وَجَمِيلَةُ أَنْ تَشْتَغَلَ
بِجَدٍّ وَنَشَاطٍ ، حَتَّى لَا تَعُودَ إِلَيْهَا الْحُورِيَّاتُ بِالضَّرْبِ وَالْوَحْزِ . لَقَدْ أَرَادَتَا

تَجَنَّبَ تِلْكَ الْآلَامَ ، فَوَاصَلَتَا الْعَمَلَ بِهَمَّةٍ حَتَّى انْتَهَتَا مِنْ وَاجِبَاتٍ كَثِيرَةٍ ،
 وَلَكِنَّهُمَا فِي نِهَايَةِ النَّهَارِ شَعَرَتَا بِالتَّعَبِ تَمَامًا ، فَذَهَبَتَا إِلَى فِرَاشِهِمَا قَبْلَ أَنْ تَبْدَأَ
 لَيْلَةٌ فِي تَنَاوُلِ عَشَائِهَا .



وَقَبْلَ أَنْ تَتَنَاوَلَ لَيْلِيَّةُ لُقْمَةً وَاحِدَةً مِنْ طَبَقِ الطَّعَامِ ، سَمِعَتْ طَرَقًا عَلَى
الْبَابِ ، فَقَامَتْ تَفْتَحُهُ . وَعِنْدَمَا فَتَحَتْهُ ، شَاهَدَتْ سَيِّدَةً تَحْمِلُ عَلَى ذِرَاعَيْهَا
طِفْلاً صَغِيراً . وَسُرَّعَانَ مَا قَالَتِ السَّيِّدَةُ : « يَا عَزِيزَتِي الصَّغِيرَةَ . . . أَلَا
تَمْنَحِينِنِي شَيْئًا أَقَاتُ بِهِ أَنَا وَطِفْلِي ؟ إِنَّا لَمْ نَذُقْ طَعَامًا طَوَالَ الْيَوْمِ ،
وَلَا يَزَالُ أَمَامِي عِدَّةُ أُمِّيَالٍ يَجِبُ أَنْ أَقْطَعَهَا خِلَالَ هَذَا اللَّيْلِ ، قَبْلَ أَنْ أَصِلَ
إِلَى الْمَنْزِلِ الَّذِي أَقْصِدُهُ » .





وفي الحال صاحَت لَيْلَةُ
الصَّغِيرَةُ : « تَفَضَّلِي بِالدُّخُولِ » .
وَأَدْخَلَتِ الْمَرْأَةَ إِلَى الْمَطْبَخِ
الدَّافئِ ، وَأَحْضَرَتْ لَهَا مَقْعَدًا
جَلَسَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَدَّمَتْ لَهَا طَبَقَ
الْحَسَاءِ وَقِطْعَةَ الْخُبْزِ ، وَهُوَ مَا كَانَتْ
سَتَتَّأَوِلُهُ كَعَشَاءٍ لَهَا ، ثُمَّ قَالَتْ لَيْلَةُ :
« دَعِينِي أَحْمِلُ الطِّفْلَ عَنْكَ فِي أَثْنَاءِ
تَنَاوُلِكَ الطَّعَامِ » .

وَتَبَيَّنَتْ لَيْلَةُ أَنَّ الْمَرْأَةَ شَاحِبَةُ
الْوَجْهِ ، نَحِيفَةُ الْجِسْمِ ، تَرْتَدِي
مَلَابِسَ رَثَّةً بَالِيَةً . وَكَانَ طِفْلُهَا الصَّغِيرُ
يَتَكَي مِنَ الْجُوعِ وَالْبَرْدِ . لَقَدْ كَانَ
مَلْفُوفًا فِي شَالٍ ، لَمْ يَكُنْ سِوَى خِرْقَةٍ
رَثَّةٍ بَالِيَةٍ . وَقَالَتْ لَيْلَةُ الصَّغِيرَةُ :
« لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لِطِفْلِكَ غِطَاءٌ يُدْفِئُهُ ،
إِنَّهُ سَيَمُوتُ مِنَ الْبَرْدِ إِذَا ظَلَّ مَتَدَثِّرًا
بِهَذَا الشَّالِ الْبَالِي » .

فَقَالَتِ السَّيِّدَةُ وَقَدْ أَخَذَتْ تَبْكِي : « إِنِّي أَعْلَمُ هَذَا ، وَلَكِنْ لَيْسَتْ
مَعِيَ نَقُودٌ لِأَشْتَرِيَ غِطَاءً يُدْفِئُهُ . إِنَّا فُقَرَاءٌ جِدًّا ، فَزَوْجِي يَعْمَلُ سَائِقَ عَرَبَةٍ ،
وَقَدْ سَافَرَ إِلَى مَدِينَةٍ تَبْعُدُ عَنْ هُنَا أَمْيَالًا كَثِيرَةً ، وَهُنَاكَ سَقَطَ مَرِيضًا .
وَأَخْشَى أَنْ يَمُوتَ قَبْلَ أَنْ أَصِلَ إِلَيْهِ . وَلَيْسَتْ مَعِيَ نَقُودٌ لِأَسْتَأْجِرَ مَرْكَبَةً
أَذْهَبُ بِهَا إِلَى هُنَاكَ ، لِذَلِكَ لَا بُدَّ أَنْ أَتَابِعَ رِحْلَتِي سِيرًا عَلَى الْأَقْدَامِ .
ثُمَّ وَضَعَتِ الطَّبَقَ وَهِيَ تَتَنَهَّدُ فِي أَثْنَاءِ حَدِيثِهَا ، وَحَمَلَتِ الطِّفْلَ ،
وَتَوَجَّهَتْ نَاحِيَةَ الْبَابِ وَهِيَ تَقُولُ : « أَنْتِ فَتَاةٌ طَيِّبَةٌ جِدًّا . . كَمْ كُنْتُ أَوْدُ
أَنْ أَكَافِئَكَ » .

وَلَكِنْ لَيْلِيَةِ الصَّغِيرَةِ قَامَتْ ، وَوَضَعَتْ شَيْئًا صُلْبًا لَامِعًا فِي يَدِ السَّيِّدَةِ
وَقَالَتْ : « إِشْتَرِي غِطَاءً لِطِفْلِكَ أَتَيْتُهَا السَّيِّدَةُ الْمِسْكِينَةُ ، وَأَرْجُو أَنْ تَتِمَكَّنِي
مِنْ الْوُصُولِ سَرِيعًا إِلَى زَوْجِكَ الْمَرِيضِ » .
وَعَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ انْفَقَتْ لَيْلِيَةُ ثَانِي دَنَانِيرَهَا الذَّهَبِيَّةَ .



لَمْ يَتَبَقْ مَعَ لَيْلِيَةِ سِوَى دِينَارٍ ذَهَبِيٍّ وَاحِدٍ مِنَ الْهَدَايَا الَّتِي تَرَكَتْهَا
الْحُورِيَّاتُ . وَأَذْرَكَتْ لَيْلِيَةُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهَا أَنْ تَنْتَظِرَ وَقْتًا طَوِيلًا قَبْلَ أَنْ
تَتِمَكَّنَ مِنْ شِرَاءِ مَنْزِلٍ صَغِيرٍ لَجَدَّتِهَا الْفَقِيرَةُ الْعَجُوزُ . فَبِرَغْمِ أَنَّهُ كَانَ فِي

اسْتَطَاعَتْهَا أَنْ تَشْتَرِيَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً جَمِيلَةً بِدِينَارِهَا الْوَحِيدِ الْبَاقِي ، فَإِنَّهَا لَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَشْتَرِيَ بِهِ مَثْرَلًا . وَقَالَتْ لِبَلْبَةٍ لِنَفْسِهَا : « عَلَى كُلِّ حَالٍ ، أَسْتَطِيعُ الْإِحْتِفَاطَ بِهَذَا الدِّينَارِ الْأَخِيرِ » .

وَلَكِنْ نَاعِسَةً وَجَمِيلَةً أَخَذَتَا تَسْخِرَانِ مِنْهَا ، وَتُسَفَّهُانِ تَصَرُّفَهَا ، ثُمَّ قَالَتَا : « فِي بَادِي الْأَمْرِ تَعْطِينَ دِينَارًا لِطِفْلَةٍ لَا تَعْرِفِينَهَا ، ثُمَّ تَأْخُذُ مِنْكِ امْرَأَةً غَرِيبَةً الدِّينَارَ الثَّانِي . لَسْنَا نَذَرِي مَا فَائِدَةُ الْهَدَايَا ، إِذَا كُنْتَ تَمْنَحِينَهَا لِكُلِّ شَخْصٍ يَسْتَجِدِّيهَا مِنْكِ » . وَلَكِنْ لِبَلْبَةٍ لَمْ تَكُنْ تَشْعُرُ بِأَيِّ أَسْفٍ عَلَى إِعْطَاءِ دِينَارَيْهَا الذَّهَبَيْنِ لِمَنْ هُمْ فِي حَاجَةٍ إِلَى النُّقُودِ أَكْثَرَ مِنْهَا .

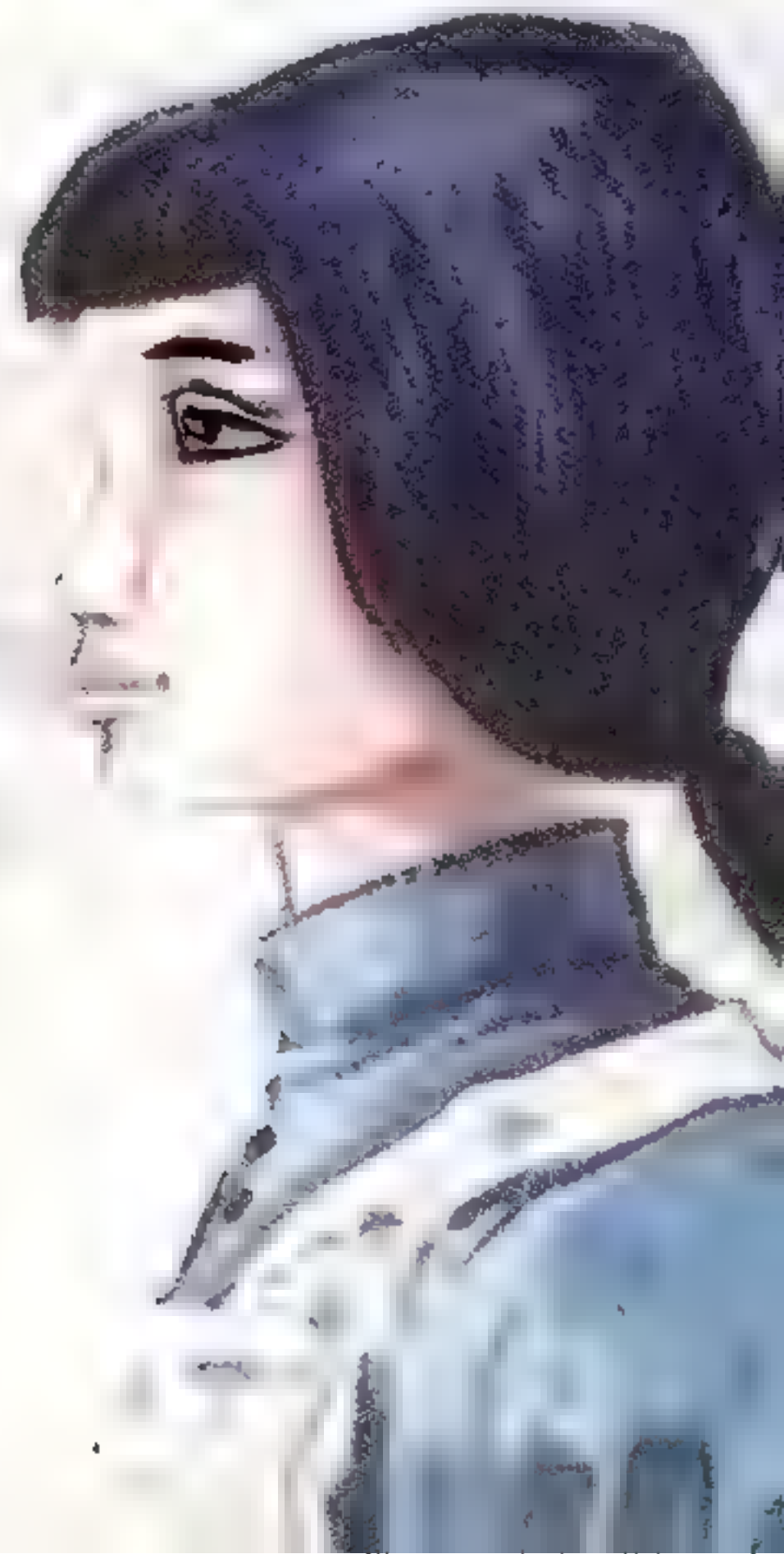
وَفِي اللَّيْلَةِ التَّالِيَةِ ، مَا إِنْ جَلَسَتْ لِبَلْبَةٌ لِتَتَأَوَّلَ الْعِشَاءَ وَحُذَّهَا ، حَتَّى سَمِعَتْ طَرْقَةً خَفِيفَةً عَلَى الْبَابِ ، فَسَأَلَتْ عَمَّنْ يَكُونُ بِالْبَابِ فِي هَذَا الْوَقْتِ . وَتَذَكَّرَتْ مَا حَدَثَ فِي اللَّيْلَةِ السَّابِقَةِ ، لَكِنَّهَا ذَهَبَتْ فِي الْحَالِ



وَفَتَحَتِ الْبَابَ ، وَهُنَاكَ شَاهَدَتْ سَيِّدَةً قَصِيرَةً طَاعِنَةً فِي السِّنِّ ، تَقِفُ مُنْحِنَةً
وَقَدْ تَقَوَّسَ ظَهْرُهَا حَتَّى اقْتَرَبَ رَأْسُهَا مِنَ الْأَرْضِ .

كَانَتِ السَّيِّدَةُ ضَخِيلَةَ الْحَجْمِ ، قَصِيرَةَ الْقَامَةِ جِدًّا حَتَّى إِنَّهَا لَمْ تَبْلُغْ إِلَّا
كَتِفَ لَيْلَى . وَكَانَتْ مَلَابِسُهَا مُجَرَّدَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْخِرْقِ ، وَحِذَاوُهَا قَدِيمًا
جِدًّا حَتَّى إِنَّ لَيْلَى اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَرَى جَمِيعَ أَصَابِعِ قَدَمَيْهَا بَارِزَةً مِنَ الثُّقُوبِ
الْكَبِيرَةِ الْمَوْجُودَةِ بِهِمَا .

وَقَالَتِ الْمَرْأَةُ الْعَجُوزُ حِينَمَا شَاهَدَتْ لَيْلَى : « يَا فَتَاتِي الصَّغِيرَةَ . . هَلْ
أَجِدُ لَدَيْكَ فَلْسًا وَاحِدًا تَتَصَدَّقِينَ بِهِ عَلَى مُتَسَوِّلَةِ عَجُوزٍ مَسْكِينَةٍ ؟ » . لَقَدْ







طَرَفْتُ أَبْوَابَ مَنَازِلَ كَثِيرَةٍ ، وَلَكِنْ
أَهْلَهَا طَرَدُونِي بَعِيدًا ، وَشَيَّعُونِي
بِالسَّبَابِ وَاللَّعْنَاتِ ، وَلَمْ يَمْنَحُونِي
شَيْئًا سِوَى اللَّكْزِ وَالْأَلْفَافِ النَّايِبَةِ ،
فَإِذَا لَمْ يَمُدُّ لِي أَحَدٌ يَدَهُ بِالمُسَاعَدَةِ ،
فَسَأَمْتُ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ ، لِأَنِّي
لَا أَمْلِكُ فَلَاسًا وَاحِدًا أَحْصِلُ بِهِ عَلَى
الطَّعَامِ أَوْ المَأْوَى .

فَقَالَتْ لَيْلِيَّةُ : « لَسْتُ أَمْلِكُ
نُقُودًا .. » وَفَجْأَةً تَوَقَّفَتْ .. كَانَتْ قَدْ
نَسِيتُ تَمَامًا دِينَارَهَا الذَّهَبِيَّ .

لَكِنَّهَا تَذَكَّرَتْهُ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ . . . لَمْ تَكُنْ تَمْلِكُ غَيْرَهُ . . . إِنَّهُ آخِرُ دِينَارٍ لَدَيْهَا ، وَهُوَ الْوَحِيدُ الْبَاقِي مِنْ هَذَايَا الْحُورِيَّاتِ الْغَالِيَةِ . . . لَقَدْ كَانَتْ تُرِيدُ الْاِحْتِفَاطَ بِهِ لِتَشْتَرِيَ شَيْئاً يَنْفَعُ جَدَّتَهَا وَيَسِّرُهَا . . . وَكَانَ مِنَ الصَّعْبِ أَنْ تُفَرِّطَ فِيهِ .

وَتَذَكَّرَتْ لَيْلَةُ كَلِمَاتِ زَمِيلَتَيْهَا وَسُخْرِيَّتَيْهَا عِنْدَمَا قَالَتَا : « لَقَدْ بَعَثْتَ دَنَائِيرَكَ عَلَى أَوَّلِ مَنْ قَابَلْتَ مِنْ يَطْلُبُونَ إِحْسَاناً » . وَأَخِيرًا قَالَتِ السَّيِّدَةُ الْعَجُوزُ فِي صَوْتِ حَزِينٍ : « إِنِّي لَا أَمْلِكُ فُلْسًا وَاحِدًا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا يَا صَغِيرَتِي » .

وَتَذَكَّرَتْ لَيْلَةُ الصَّغِيرَةُ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ جَدَّتَهَا الْعَجُوزَ . إِنَّهَا فَقِيرَةٌ حَقًّا ، وَلَكِنْ لَدَيْهَا كُوخٌ تَعِيشُ فِيهِ ، وَهِيَ تَحْصُلُ عَلَى كُلِّ التَّقْوَدِ الَّتِي تَأْخُذُهَا لَيْلَةُ كَأَجْرِ لَهَا ، لِذَلِكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَشْتَرِيَ قَدْرًا مِنَ الطَّعَامِ يَمْنَعُ عَنْهَا أَلَمَ الْجُوعِ ، وَهِيَ عَلَى كُلِّ حَالٍ لَيْسَتْ فِي حَاجَةٍ إِلَى الْإِحْسَانِ أَوْ التَّسَوُّلِ . وَتَصَوَّرَتْ لَيْلَةُ أَنَّ الْحَالَ وَصَلَتْ بِجَدَّتِهَا إِلَى أَنْ تُصْبِحَ مِثْلَ هَذِهِ السَّيِّدَةِ الْعَجُوزِ الْفَقِيرَةِ ، وَتَصَوَّرَتْ أَنَّهَا لَمْ تَعُدْ تَمْلِكُ فُلْسًا وَاحِدًا ، وَتَصَوَّرَتْ أَنَّهَا



قَدْ طُرِدَتْ مِنْ أَمَامِ أَبْوَابِ كَثِيرَةٍ مِنَ الْبُيُوتِ بَعْدَ أَنْ نَالَهَا الْأَذَى مِنْ
أَصْحَابِهَا . . . عِنْدَئِذٍ لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَحْمِلَ التَّفْكِيرَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، وَدَسَتْ
يَدَهَا فِي جَيْبِهَا بِغَيْرِ تَرَدُّدٍ ، وَأَخْرَجَتْهَا وَهِيَ تَقُولُ لِلْمَرْأَةِ الْمِسْكِينَةِ : « خُذِي
هَذَا الدِّينَارَ الذَّهَبِيَّ أَيْتَهَا الْخَالَةُ الطَّيِّبَةُ » .

وَتَنَاوَلَتِ السَّيِّدَةُ الْعَجُوزُ الدِّينَارَ الذَّهَبِيَّ ، وَقَدْ ارْتَسَمَتْ عَلَى شَفَتَيْهَا
اِئْتِسَامَةٌ سَعِيدَةٌ وَقَالَتْ : « أَشْكُرُكَ يَا لَيْلَى . لَا بُدَّ أَنْ يَجْنِيَ الْإِنْسَانُ ثَمَرَةَ
أَعْمَالِهِ الطَّيِّبَةِ » . ثُمَّ وَضَعَتْ يَدَهَا بِرُقَّةٍ عَلَى عَيْنَيِ الْفَتَاةِ الصَّغِيرَةِ ، وَعِنْدَمَا
رَفَعَتْ يَدَهَا ، أَطْلَقَتْ لَيْلَى صَيْحَةً دَهْشَةٍ عَالِيَةً !

...





فِي مَكَانِ السَّيِّدَةِ الْعَجُوزِ . كَانَتْ تَقِفُ فَتَاةٌ حُلُوةٌ تَرْتَدِي ثَوْباً سُنْدُسياً
 أَخْضَرَ . وَشَعْرُهَا الذَّهَبِيُّ الْبَدِيعُ يَنْسَابُ عَلَى كَتِفَيْهَا الرَّشِيقَيْنِ ، وَعَلَى رَأْسِهَا
 تَاجٌ يَتَلَأَلُ ذُو أَلْوَانٍ خِلَابَةٍ ، وَلَهَا زَوْجٌ مِنَ الْأَجْنَحَةِ الذَّهَبِيَّةِ اللَّامِعَةِ . وَإِلَى
 يَمِينِهَا وَقَفَتْ فَتَاةٌ أُخْرَى . وَلَكِنَّهَا تَرْتَدِي ثَوْباً أَزْرَقَ . يُشَبِّهُ فِي لَوْنِهِ وَجَمَالِهِ
 زُرْقَةَ السَّمَاءِ ، وَأَجْنِحَتُهَا مِنَ الْفِضَّةِ الْخَالِصَةِ . وَوَقَفَتْ حَسَنَاءُ ثَالِثَةٌ عَلَى
 الْجَانِبِ الْآخِرِ ، وَبَدَتْ أَجْنِحَتُهَا مُزَيَّنَةٌ بِقَطْرَاتٍ مُضِيئَةٍ مِنَ النَّدى . وَلَوْ
 ثَوْبُهَا كَوَرْدَةٍ مُتَفَتِّحَةٍ حَمْرَاءَ .

وَقَالَتِ الْحَسَنَاءُ ذَاتُ الرِّدَاءِ الْأَزْرَقِ : « لَيْلِيَّةُ الصَّغِيرَةُ . . . لَقَدْ أَتَيْنَا مِنْ
 أَرْضِ الْحُورِيَّاتِ لِكَيْ نُكَافِئَكَ عَلَى الدَّنَائِيرِ الذَّهَبِيَّةِ الَّتِي أُعْطِيَتْهَا لَنَا . لَقَدْ
 أَرَدْتُ أَنَا وَأُخْتَايَ أَنْ نَعْرِفَ مَا إِذَا كُنْتَ تَمْلِكِينَ قَلْباً طَيِّباً شَفِيقاً . مِثْلَمَا
 تَمْلِكِينَ قَلْباً يَجْعَلُكَ تُخْلِصِينَ فِي أَدَاءِ عَمَلِكَ وَتَقُومِينَ بِهِ عَلَى خَيْرِ وَجْهِ ،
 وَقَدْ وَجَدْنَا أَنَّكَ كَذَلِكَ فَعِلاً . إِذْ أَنَّكَ قَدْ مَنَحْتَ هَدَايَا الْحُورِيَّاتِ الْغَالِيَةِ
 لِمَنْ اعْتَقَدْتَ أَنَّهُنَّ أَكْثَرُ مِنْكَ حَاجَةً إِلَيْهَا . الْآنَ يَجِبُ أَنْ أُخْبِرَكَ أَنَّ الدَّنَائِيرَ
 الذَّهَبِيَّةَ الثَّلَاثَةَ الَّتِي أَنْفَقْتَهَا شَفَقَةً وَإِحْسَاناً ، سَنَمْنَحُكَ فِي مُقَابِلِهَا الْحَقَّ فِي
 إِبْدَاءِ ثَلَاثِ رَغَبَاتٍ . وَبِذَلِكَ تَتَحَقَّقُ لَكَ أَفْضَلُ أَمَانِكَ . »



وَابْتَسَمَتِ الْحَسَنَاءُ ذَاتُ الرِّدَاءِ الْأَخْضَرِ وَقَالَتْ : « هَيَّا . . أَخْبِرِينَا أَيُّهَا
الابْنَةُ الْعَزِيزَةُ ، إِنِّي السَّيِّدَةُ الْعَجُوزُ الَّتِي أُعْطِيَتْهَا دِينَارُكَ الذَّهَبِيُّ الْأَخِيرَ .
أَخْبِرِينِي بِرَغْبَتِكَ الْأُولَى » .

وَفِي بَادِي الْأَمْرِ لَمْ تَسْتَطِعْ لَيْلِيَّةُ أَنْ تَتَكَلَّمَ ، فَقَدْ عَقَدَتْ الدَّهْشَةَ
لِسَانَهَا . . وَلَكِنَّهَا صَاحَتْ أَخِيرًا : « أَرْجُوكِ . . إِنَّ أُولَى رَغْبَاتِي أَنْ تَعِيشَ
جَدَّتِي الْحَبِيبَةُ فِي مَنْزِلٍ جَمِيلٍ ، بَدَلًا مِنْ كُوْحِهَا الْقَدِيمِ الضَّيِّقِ الْمُظْلَمِ
الْمُتَهَدِّمِ » .

وَابْتَسَمَتِ الْحُورِيُّ ثَانِيَةً وَقَالَتْ : « سَأَلْبِي طَلَبَكَ فَوْرًا يَا عَزِيزَتِي ،
خَاصَّةً أَنَّكَ بَدَلًا مِنْ أَنْ تُفَكِّرِي فِي نَفْسِكَ ، تَذَكَّرْتِ جَدَّتَكَ » .
ثُمَّ تَقَدَّمَتِ الْحَسَنَاءُ ذَاتُ الرِّدَاءِ الْأَزْرَقِ إِلَى الْأَمَامِ وَقَالَتْ : « إِنِّي
يَا لَيْلِيَّةُ ، الْمَرْأَةُ الْفَقِيرَةُ الَّتِي أُعْطِيَتْهَا دِينَارُكَ الذَّهَبِيُّ الثَّانِي ، مَا الَّذِي تُرِيدِينَ
أَنْ أُقَدِّمَهُ إِلَيْكَ ؟ » .

قَالَتْ لَيْلِيَّةُ الصَّغِيرَةُ : « أُرِيدُ أَنْ تَنَالَ جَدَّتِي كُلَّ شَيْءٍ تَطْلُبُهُ ، وَالْأَ
تُعَانِي مِنَ الْفَقْرِ بَقِيَّةَ حَيَاتِهَا » .

وَقَالَتِ الْحُورِيُّ الثَّانِيَةُ : « وَهَذِهِ الْأُمْنِيَّةُ أَيْضًا سَأُحَقِّقُهَا لَكَ يَا فَتَاتِي
الصَّغِيرَةَ . فَقَدْ آثَرَتِ الْآخَرِينَ عَلَى نَفْسِكَ » .

وَجَاءَ الْآنَ دَوْرُ الْحُورِيِّ ذَاتِ الرِّدَاءِ الْوَرْدِيِّ الْجَمِيلِ ، فَتَقَدَّمَتْ إِلَى



لَيْلَةَ ، وَتَنَاولَتْ يَدَهَا ، وَقَالَتْ لَهَا وَهِيَ تَضْحَكُ فِي مَرَحٍ : « عَزِيزَتِي لَيْلَةَ ،
إِنَّ الصَّبِيَّةَ الصَّغِيرَةَ الَّتِي أُعْطِيتُهَا أَوَّلَ دَنَانِيرِكَ تُرِيدُ أَنْ تَمْنَحَكَ هَدِيَّةً مُكَافَأَةً
لَكَ عَلَى عَطْفِكَ عَلَيْهَا . أَخْبِرِينِي بِأَمْنِيَّتِكَ الْأَخِيرَةِ ، فَقَدْ كُنْتُ أَنَا تِلْكَ
الصَّبِيَّةُ » .

انتظرت لَيْلَةَ فترةً طَوِيلَةً قَبْلَ أَنْ تَتَكَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَتْ أَخِيرًا فِي حَيَاءٍ



شديد : « أريدُ أن أجِدَ ديناراً ذهبياً في حِذائي كُلِّ صباحٍ طوالَ حياتي » .
وصفقتِ الحُورياتُ الثلاثُ بأيديهنَّ الجميلةَ في مَرَحٍ ، وهُنَّ يصحْن
في إعجابٍ : « هذه أُمْنِيَّةٌ حكيمةٌ » .

ثمَّ قالتِ الحُوريةُ ذاتُ الرِّداءِ الوردِي : « لا بُدَّ أن أحقِّقَ لكِ أُمْنِيَّتَكَ
يا لَيْلِيَّةَ ، لأنني واثقةٌ أنكِ لن تُنْفِي دنانيرَكَ الذهبيةَ على نَفْسِكَ فَقَطْ ، بل
على الفقراءِ أيضاً » . ثمَّ قبلتُ وجنتي لَيْلِيَّةَ .

وفي اللَّحظةِ التاليةِ ، بَرَقَ وميضٌ لامعٌ من أجنحتَهنَّ ، اختفتِ
الحُورياتُ الثلاثُ على أثرِه ، تاركاتِ لَيْلِيَّةَ المُخلِصةَ في المَطْبَخِ ، وهي في
أشدِّ حالاتِ الدهشةِ ممَّا رأتُ .

كَانَ اليَوْمُ التَّالِي أُسْعَدَ أَيَّامِ حَيَاةِ لَيْلِيَّةَ . لَقَدْ وَجَدَتْ عِنْدَمَا اسْتَيْقَظَتْ
ديناراً ذهبياً يلمعُ في حِذائِها ، فقالتُ لِنَفْسِها في ابتهاجٍ : « إِذَنْ فَقَدْ
تَحَقَّقَتْ وَاحِدَةٌ مِنَ الْأُمَانِي . . . »

وخلالَ النَّهَارِ ، سَمَحَتْ لَهَا سَيِّدَتُها بِالذَّهَابِ لِرُؤْيَةِ جَدَّتِها . وسرعانَ
مَا رَحَلَتْ وَقَدْ امْتَلَأَتْ بِهِجَةً وَسُرُوراً .

ولكنَّ عِنْدَمَا اقْتَرَبَتْ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي اعتادتُ أَنْ تَجِدَ فِيهِ كُوخَ
جَدَّتِها ، تَوَقَّفتُ فجأةً وَقَدْ غَمَرَتْها الدَّهْشَةُ : فبدلاً مِنْ أَنْ تُشَاهِدَ الْكُوخَ
الْقَبِيحَ بِحَوَائِطِهِ الْمُتَهَالِكَةِ ، رَأَتْ مَنَزَلاً أُنِيقاً جَمِيلاً مُكوَّناً مِنْ طابِقَيْنِ ، قَدْ

أَحَاطَتْ بِهِ حَدِيقَةُ غَنَاءٍ مُزْدَانَةٌ بِالْأَشْجَارِ الْمُورِقَةِ الْخَضِرَاءِ ، وَرُصَّتْ عَلَى
نَوَافِدِهِ أَصْصٌ بَدِيعَةٌ لَطِيفَةُ الشَّكْلِ ، مَمْلُوءَةٌ بِالْوُرُودِ ذَاتِ الرَّائِحَةِ الذَّكِيَّةِ .
وَهُنَاكَ وَجَدْتُ جَدَّتَهَا تَنْتَظِرُهَا وَاقِفَةً عَلَى بَابِ الْمَنْزِلِ ، مُرْتَدِيَةً ثَوْبًا
جَدِيدًا جَمِيلًا .

وَمَا إِنْ شَاهَدْتُ الْجَدَّةَ لَيْلِيَّةَ ، حَتَّى أَطْلَقْتُ صَيْحَةً وَهَتَفْتُ :
« لَيْلِيَّةَ . . . ! ! لَيْلِيَّةَ . . . ! ! انْظُرِي هَذَا الْمَنْزِلَ الَّذِي أُعْطِنِيهِ إِيَّايَ
الْحُورِيَّاتُ أَخِيرًا ! إِنَّهُ بِفَضْلِ إِخْلَاصِكَ وَصَفَاءِ قَلْبِكَ » .
لَقَدْ تَحَقَّقْتُ أُمْنِيَّةَ لَيْلِيَّةَ الْأُولَى . وَقَادَتْنِي جَدَّتْنِي دَاخِلَ الْمَنْزِلِ وَارْتَهَا كُلُّ
شَيْءٍ ، وَقَدْ بَدَأَ عَلَيْهَا الْفَخْرُ وَالرُّضَا .

كَانَ هُنَاكَ بِسَاطٌ جَمِيلٌ يَغْطِي الْأَرْضَ ، وَعِدَّةٌ مَقَاعِدَ أُنِيقَةٍ مُرِيحَةٍ ،
وَمِنْصَدَةٌ دَقِيقَةُ الصَّنْعِ . كَذَلِكَ شَاهَدْتُ كَمِّيَّاتٍ مِنْ كُلِّ أَنْوَاعِ الطَّعَامِ
الْجَيِّدِ فِي مَخْزَنِ الْأَطْعِمَةِ .

وَفِي الطَّابِقِ الثَّالِي شَاهَدْتُ لَيْلِيَّةَ غُرْفَتَيْنِ جَمِيلَتَيْنِ لِلنَّوْمِ . بِكُلِّ مِنْهُمَا سَرِيرٌ
أَبْيَضٌ فَصَاحَتْ : « الْآنَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَعِيشَ هُنَا عَلَى الدَّوَامِ يَا جَدَّتِي
الْعَزِيزَةَ . لَقَدْ أَصْبَحَ لَدَيْكَ كُلُّ مَا نَحْتَاجِينَ إِلَيْهِ ، كَمَا أَنَّي سَأَحْصِلُ عَلَى
دِينَارٍ ذَهَبِيٍّ كُلِّ صَبَاحٍ ، وَبِذَلِكَ يَكُونُ لَدَيْنَا مَا يَكْفِينَا حَقًّا » .



وهكذا أصبحت ليلية في غير حاجة إلى العمل مع ناعسة وجميلة ،
وتركت منزل السيد والسيدة بعد أن حصلت منها على مكافأة كبيرة ،
وذهبت لتعيش في المنزل الأبيض الصغير ، حيث تُعنى بشؤون جدتها .
وعاشت هي وجدتها في سعادة متصلة دائمة .

* * *

أما ناعسة وجميلة ، فقد وجدتا أن العمل أصبح شديد المشقة عليهما
عندما تركتهما ليلية الصغيرة ، التي كانت تقوم بالقسط الأكبر من العمل .
ولكن ضربات ووخزات الحوريات قد علمتهما درساً لن تنسياه ، فلم
تعودا إلى كسلهما مرة أخرى .



أسئلة في القصة

- ١ -- كانت ناعسة تشبه جميلة في شيء ، وتختلف عنها في أشياء . اذكر وجه الشبه ، وموضع الاختلاف .
- ٢ -- كيف كانت لبلة سبباً في عدم طرد ناعسة وجميلة من خدمة سيدتهن ؟
- ٣ -- اذكر أهم الصفات التي ميّزت لبلة عن زميلتها .
- ٤ -- ماذا كانت آماني لبلة الصغيرة في الحياة ؟
- ٥ -- من التي قامت بأكبر نصيب من العمل يوم الولاية ؟
- ٦ -- ماذا حدث للفتيات الثلاث ليلة الولاية ؟ .
- ٧ -- « أنا واثقة أن الحوريات قد كافأت لبلة الصغيرة » . . من قالت هذه العبارة ؟ ومتى قالتها ؟

-
- ٨ - لمن أعطت لبلبة دينارها الأول ؟ ولماذا أعطته ؟
- ٩ - كيف استقبلت زميلتا لبلبة خبر إنفاقها دينارها الأول ؟
- ١٠ - كيف أنفقت لبلبة دينارها الثاني ؟
- ١١ - « إننى لا أملك فلساً واحداً فى هذه الدنيا يا صغيرتى » . من قالت هذه العبارة ؟ ولمن قالتها ؟
- ١٢ - ماذا حدث عندما منحت لبلبة دينارها الثالث السيدة الطاعنة فى السن ؟
- ١٣ - ماذا كانت أولى رغبات لبلبة من الحوريات ؟
- ١٤ - « أود أن تنال جدتى كل شىء تطلبه » . لمن قالت لبلبة هذه العبارة ؟
- ١٥ - كيف تحققت أولى آماني لبلبة ؟
- ١٦ - ما الذى تستفيدة من هذه القصة ؟
- ١٧ - اكتب ملخصاً لهذه القصة فى ثلاث صفحات من إنشائك .
-